أولادنا بين البر والعقوق

الشيخ
محمد حسان

دار ابن رجب

أولادنا بين
البر والعقوق

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م

دار ابن رجب طبع. نشر. توزيع

فارسكور : تليفاكس ٠٠٢٠٥٧٤٤١٥٥٠ جوال : ٠١٢٢٢٣٦٨٠٠٢
المنصورة : شارع جمال الدين الأفغاني هاتف : ٠٠٢٠٥٠٢٣١٢٠٦٨

أولادنا بين البر والعقوق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ

وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠-٧١]

أما بعد :

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله ، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ ، وشرَّ الأمورِ محدثاتها ،

وكل محدثة بدعة ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٍ ، وكلَّ ضلالة في النار .

أحبتي في الله ...

أعيروني القلوب ، والله أسأل أن يجعلنا وإياكم من : ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر : ١٨]

أولاً : حقا إنها مأساة

لا شك أن الوالدين يندفعان بالفطرة إلى حب ورعاية الأولاد ، بل وإلى التضحية

للأولاد بكل غالٍ ونفيس ، فكما تمتص النبتة الخضراء كل غذاء في الحبة فإذا هي فتات ، وكما يمتص الفرخ كل غذاء في البيضة فإذا هي قشرة هَشَّة ، فكذلك يمتص الأولاد كل رحيق وعافية واهتمام في الوالدين ، فإذا هما شيخوخة فانية ، ومع ذلك فهما سعيدان ، ولكن من الأولاد من ينسى سريعًا هذا الحب والعطاء والحنان والرعاية ، ويندفع في جحود وعصيان ونكران ليسيء إلى الوالدين بلا أدنى شفقة أو رحمة أو إحسان ، وتتوارى كل

كلمات اللغة على خجل واستحياء بل وبكاء وعويل حينما تكتمل فصول المأساة ، و يبلغ العقوق الأسود ذروته ومنتهاه حينما يقتل الولد أمه ، وحينما يقتل الولد أباه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وإليك قصة غاية في البشاعة والإجرام والجحود .

لقد وقعتْ في إحدى القرى جريمةٌ مروعةٌ شنعاء هي التي دفعتني إلى الحديث اليوم عن هذا الموضوع ، في أسرة فقيرة تتكون من عشرة أبناء ، يقضي الوالد المسكين ليله ونهاره ؛

ليوفر لأبنائه العيشة الطيبة الكريمة ويلحقهم بأرقى الكليات بالجامعة ، ومن بين هؤلاء الأبناء ولد عاق ، بدلًا من أن يساعد أباه في نفقات هذه الأسرة الكبيرة راح يلهب ظهر والده بالمصروفات ؛ ليضيعها على المخدرات والفتيات ، فقال له والده المسكين : أي بني أنا لا أقدر على نفقاتك ومصروفاتك ، دعني لأواصل المسيرة مع إخوانك وأخواتك وأنت قد بلغت مبلغ الرجال ، فاعمل وشق طريقك في الحياة ، ولكن الولد تمرد على

التقاليد والقيم وعلى سلطان البيت والأسرة بل وعلى سلطان الدين ، راح هذا الولد العاق يفكر كيف يقتل أباه ؟! إي والله حدث ما تسمعون !! إنه طالب في كلية العلوم راح يستغل دراسته استغلالًا شيطانيًا خبيثًا حيث أعد مادة كيميائية بطريقة علمية معينة ، وأخذ كمية كبيرة ، وعاد إلى البيت ، وانتظر حتى نام أبوه المسكين ، فسكب المادة الكيميائية على أبيه وهو نائم ، فأذابت المادة لحم أبيه وبدت العظام !!!

الله أكبر !! لا إله إلا الله !! لا إله إلا الله !!

والله إن الحلق ليجف ، وإن القلب لينخلع ، وإن العقل ليتوقف ، وإن الكلمات لتتوارى في خجلٍ وحياءٍ ، بل وبكاءٍ وعويلٍ ، أمام هذه المأساة المروعة الشنعاء بكل المقاييس .

قد يرد الآن عليَّ أب كريم من آبائنا أو أخ عزيز يجلس معنا ويقول : إنه الفقر ، قاتل الله الفقر !!

والجواب : مع تقديري لكل آبائي وأحبائي ، ما كان الفقر سببًا ليقتل الولد أباه ، وإذا أردت

الدليل فخذ الحادثة الثانية المروعة التي طالعتنا بها جريدة الأهرام منذ أسبوعين اثنين فقط .

أسرة ثرية وصل الوالدان فيها إلى مرتبة اجتماعية مرموقة ، فالأم تحمل شهادة الدكتوراه في الهندسة ، جلست هذه الأم المثقفة لتناقش ابنها فلذة كبدها الذي أنهى دراسته الجامعية في أمر خطيبته التي أراد أن يتزوجها ، فالأم تعارض هذا الزواج لاعتبارات وأسباب ترى أنها وجيهة من واقع خبرتها ومسئوليتها تجاه ولدها ، فاحتج الولد على أمه وما كان من

هذا المجرم العاق إلا أن أسرع بسكين ثم انقض بالسكين على أمه بطعنات قاتلة حتى فارقت الحياة !!!

والله إن الحلق ليجف ، وإن القلب لينخلع ، من هول هذه الصورة البشعة من صور العقوق للآباء والأمهات الذي حذر الله جَلَّ وَعَلَا منه في أدنى صوره ، وأقل أشكاله وألوانه ، فقال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا

تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤]

أيها المسلمون: أيها الأبناء : اعلموا علم اليقين أن العقوق كبيرةٌ تلي كبيرة الشرك بالله وهذا هو عنصرنا الثاني .

ثانيا : خطر العقوق

العقوق من أكبر الكبائر ففي الصحيحين من حديث أبي بكرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : « **أَلَا**

أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ (ثلاثًا) » قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : « الإِشْرَاكُ بِالله وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ ، أَلَا وَشَهَادَةُ الزُّورِ ، أَوْ قَوْلُ الزُّورِ » – وكان متكئًا فجلس – فمازال يكررها حتى قلنا ليته سكت[1].

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص – رضى الله عنهما – أن النبي ﷺ قال : « إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الكَبَائِرِ أَنْ يَسُبَّ

---

(١) **متفق عليه** : رواه البخاري (٢٦٥٣) في الشهادات ، باب ما قيل في شهادة الزور ، ومسلم رقم (٨٧) في الإيمان .

الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ » فقال الصحابة : وهل يشتم الرجل والديه ؟! فقال المصطفى : « **نَعَمْ يَسُبُّ الرَّجُلَ أَبَا الرَّجُلِ ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ** »[1].

انظر إلى هذا السؤال الاستنكاري من الصحابة - رضوان الله عليهم - وهل يشتم الرجل والديه لا أن يقتل والديه ، لا يتصور الصحابة في مجتمع الطهر مجرد أن يشتم الرجل

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري رقم (٥٩٧٣) في الأدب ، باب لا يسب الرجل والديه ، ومسلم رقم (٩٠) في الإيمان .

والديه ؟! فقال الحبيب المحبوب : «**نَعَمْ يَسُبُّ الرَّجُلَ أَبَا الرَّجُلِ ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ** » وبهذا يكون الرجل سب أباه بطريق غير مباشر ، وهذا الفعل من أكبر الكبائر والعياذ بالله .

أيها الأبناء ... العقوق سبب من أسباب الحرمان من الجنة والطرد من رحمة الله التي وسعت كل شيء ، ففي الحديث الذي رواه النسائي والبزار بسند جيد ، وحسنه الألباني ، ورواه الحاكم في المستدرك ، وصححه على شرط

الشيخين البخاري ومسلم من حديث عمر أن النبي ﷺ قال : « **ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللهُ ﷻ إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ** » قيل : من هم يا رسول الله ؟! قال : « **العَاقُّ لِوَالِدَيْهِ ، وَالمَرْأَةُ المُتَرَجِّلَةُ** [1] ، **وَالدَّيوثُ**[2] »[3] .

أيها الأبناء ، أيها الآباء تدبروا قول الرسول

(١) المرأة المترجلة : التي تتشبه بالرجال في هيئتهم وأفعالهم .

(٢) الديوث من الرجال : هو الذي لا غيرة له ولا حمية .

(٣) رواه النسائي (٥/ ٨٠) في الزكاة ، باب المنان بما أعطى ، ورواه أيضًا أحمد في المسند رقم (٩٥٦٠) والحاكم في المستدرك (٤ / ١٤٧) وهو في صحيح الجامع (٣٠٦٣) .

ﷺ : « **ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ** » خابوا وخسروا ورب الكعبة هؤلاء الذين طردوا من رحمة الرحمن ، التي وسعت كل شيء ، وأول المطرودين : العاق لوالديه .

أيها الأبناء : أخاطبكم بكل قلبي وكياني ، يا من منَّ الله عليكم الآن بنعمة الآباء والأمهات ، وأنتم لا تدركون قدر هذه النعمة ، ولن تشعروا بها إلا إذا فقدتم الوالدين ، أسأل الله أن يبارك في أعمار أبائنا وأمهاتنا ، وأن يختم لنا ولهم بصالح الأعمال إنه على كل

شيء قدير .

أيها الأبناء .. العقوق لا ينفع معه أي عمل ، سواء صلاة أو زكاة أو حج أو صيام ، ففي الحديث الذي رواه الإمام الطبراني وابن أبي عاصم في كتاب السنة بسند حسن ، وحَسَّنَ الحديث الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة من حديث أبي أمامة أن النبي ﷺ قال : « **ثَلاَثَةٌ لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُمْ صَرْفًا**[1] **وَلَا عَدْلًا ، العَاقُّ**

(١) صرفًا ولا عدلًا : أي فرضًا ولا نفلًا ولا عملًا .

لِوَالِدَيْهِ ، وَالمَنَّانُ ، وَالمُكَذِّبُ بِالقَدَرِ »[١].

ولكي أختم هذا العنصر لِأُعرِّج على بقية عناصر الموضوع أقول : إن العقوق دَيْنٌ لا بد من قضائه في الدنيا قبل الآخرة ، فكما تدين تدان ، فإن بذلت البر لوالديك سَخَّرَ الله أبناءك لبرك ، وإن عققت والديك سَلَّط الله أبناءك لعقوقك ، ستجني ثمرة العقوق في الدنيا قبل الآخرة ، ففي الحديث الذي رواه

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٧٥٤٧) وابن أبي عاصم في السنة رقم (٣٢٣) وحسنه الألباني .

الطبراني والبخاري في التاريخ وصححه الألباني من حديث أبي بكرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : « **اثْنَانَ يُعَجِّلُهُمَا اللهُ فِي الدُّنْيَا : الْبَغْيُ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ** »[1].

تدبر معي والدي الكريم وأخي الحبيب .. هذا ابن عاقٌّ يعيش معه والده في بيته فَكَبُرَ الوالد ، وانحنى ظهره ، وسال لعابه ، واختلت

(١) رواه أحمد في المسند (٥/ ٣٦) ، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٧٧) ، وصححه ، ووافقه الذهبي وهو في صحيح الجامع (١٣٧) .

أعصابه ، فاشمأزت منه زوجة الابن - وكم من الأبناء يرضون الزوجات على حساب طاعة الأمهات والآباء - فطرد الولد أباه من البيت ، فَرَقَّ طفلٌ صغير من أبنائه لجده فقال له : لماذا تطرد جدنا من بيتنا يا أبي ؟!! فقال : حتى لا تتأففون منه ، فبكى الطفل لجده وقال : حسنًا يا أبتي ، وسوف

نصنع بك غدًا إن شاء الله!! العقوق دين لابد من قضائه .

وهذا ابن آخر يصفع والده على وجهه ، فيبكي

الوالد ويرتفع بكاؤه ، فيتألم الناس لبكاء هذا الشيخ الكبير ، وينقض مجموعة من الناس على هذا الابن العاق ليضربوه فيشير إليهم الوالد ويقول لهم : دعوه !! ثم بكى وقال والله منذ عشرين سنة ، وفي نفس هذا المكان صفعت أبي على وجهه !!

العقوق دين لابد من قضائه !!

وهذا ابن ثالث عاق يجر أباه من رجليه ؛ ليطرده خارج بيته ، وما إن وصل الولد بأبيه وهو يجره حتى الباب ، وإذا بالوالد يبكي

ويقول لولده : كفى يا بني ، كفى يا بني إلى الباب فقط ، فقال : لا بل إلى الشارع ، قال والله ما جررت أبي من رجليه إلا إلى الباب فقط !! كما تدين تدان .

أيها الأخ الحبيب : اذهب اليوم إلى أبيك فقبل يديه ، وقدميه وارجع اليوم إلى أمك فقبل يديها وقدميها فَثَمَّ الجنة ، ما أشقاها والله من حياة ، حياة العقوق ، وما أطيبها وأروحها وأسعدها وألذها من حياة ، ألا وهي حياة البر وهذا عنصرنا الثالث .

ثالثا : فضل البر

أيها الحبيب الكريم .. يكفى أن تعلم أن الله جَلَّ وَعَلَا قد قرن بر الوالدين والإحسان إليهما بتوحيده قال تعالى : ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء : ٢٣] وقال تعالى : ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [النساء : ٣٦] وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [البقرة : ٨٣]

قال ابن عباس : ثلاث آيات نزلت مقرونة

بثلاثة لا يقبل الله واحدة بدون قرينتها . أما الأولى فهي قوله تعالى : ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [محمد : ٣٣]

فمن أطاع الله ولم يطع الرسول فلم يقبل منه .

وأما الثانية فهي قول الله : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة : ٤٣]

فمن أقام الصلاة وضيع الزكاة لم يقبل منه .

وأما الثالثة فهي قول الله تعالى : ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾ [لقمان : ١٤]

فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه .

حياة البر ما أروعها من حياة ، إنها حياة السعادة والطمأنينة ، إنها حياة الأمن والأمان ، يالها من لذة !! فيها ستشعر بانشراح الصدر ، ستشعر بالسعادة في كل الخطا ، بل سيوسع الله عليك رزقك ، بل سيبارك الله لك في عمرك .

البِرُّ سَبَبُ دُخُولِ الجَنَّةِ :

تدبر معي كلام النبي ﷺ كما في الحديث الذي رواه مسلم من حديث أبي هريرة ، قال الحبيب ﷺ : « **رَغْمُ أَنْفِهِ ، رَغْمَ أَنْفِهِ ، رَغْمَ أَنْفِهِ** » قيل : من يا رسول الله ؟ قال المصطفى :

« مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الكِبَرِ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ »[1].

الرسول ﷺ يقول : رغم أنفه ثلاثًا : أي ذل وهان وتعرض للخيبة والخذلان من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كلاهما ولا يكونا سببًا في دخوله الجنة .

إياك أن تضيع هذا الخير ، يا من منَّ الله عليك به الآن .

بر الوالدين من أعظم القربات إلى رب الأرض

---

(١) **صحيح** : رواه مسلم رقم (٢٥٥١) في البر والصلة .

والسماوات .

اسمع كلام سيد المرسلين ، ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال : سألت النبي ﷺ فقلت : يا رسول الله ! أي العمل أحب إلى الله تعالى ؟ قال : « **الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا** » قال : ثم أي ؟ قال : « **ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ** » قال : ثم أي ؟ قال : « **الجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله** »[1].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري رقم (٥٩٧٠) في الأدب ، ومسلم رقم (٨٥) في الإيمان .

وفى الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر قال رجل للنبي ﷺ : أُجاهد ؟ قال: ((**لَكَ أَبَوَانِ ؟**)) قال : نعم . قال : ((**فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ**))[1].

وفى رواية مسلم أن رجلًا جاء للنبي ﷺ فقال : يا رسول الله جئت أبايعك على الهجرة والجهاد فقال له المصطفى : ((**هَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ**)) قال : نعم بل كلاهما . قال : ((**فَتَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ الله ؟**)) قال : نعم .

---

(١) **صحيح** : رواه البخاري رقم (٥٩٧٢) في الأدب ، باب لا يجاهد إلا بإذن الأبوين .

قال : ((فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا))[1].

بر الوالدين سبب تفريج الكروبات :

ففي الصحيحين من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال : ((بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ ، يَتَمَاشَوْنَ أَخَذَهُمُ المَطَرُ ، فَمَالُوا إِلَى غَارٍ فِي الجَبَلِ ، فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ ، فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا للهِ صَالِحَةً فَادْعُوا اللهَ

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٥٤٩) في البر والصلة .

بِهَا لَعَلَّهُ يفْرُجُهَا : فَقَالَ أَحَدُهُمْ : اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ ، وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ كُنْتُ أَرْعَى عَلَيهِمْ ، فَإِذَا رُحْتُ عَلَيهِمْ فَحَلَبْتُ ، بَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ أَسْقِيهِمَا قَبْلَ وَلَدِي ، وَإِنَّهُ نَأَى بِي الشَّجَرُ فَمَا أَتَيْتُ حَتَّى أَمْسَيْتُ ، فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا ، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلَبُ فَجِئْتُ بِالحَلَابِ فَقُمْتُ عِنْدَ رُؤُسِهِمَا ، أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا ، وَأَكْرَهُ أَنْ أَبْدَأَ بِالصِّبْيَةِ قَبْلَهُمَا ، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغُونَ عِنْدَ قَدمِي ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبِهِمْ حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ ، فَإِنْ

كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ ، فَفَرَّجَ اللهُ لَهُمْ فُرْجَةً حَتَّى يَرَوْنَ مِنْهَا السَّمَاءَ .. »[1] إلى آخر الحديث .

انظر جيدًا في معنى هذا الحديث لما تقرب الرجل إلى **الله** ﷻ ببر والديه استجاب الله دعاءه ، فعليك ببر الوالدين بإخلاص تكن مستجاب الدعوة .

---

(١) **متفق عليه** : رواه البخاري رقم (٥٩٧٤) في الأدب ، ومسلم رقم (٢٧٤٣) في الذكر .

أيها الأحبة الكرام : معلوم أن بر الأم مقدم على بر الأب ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : مَنْ أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : « **أُمُّكَ** » قال : ثم من ؟ قال : « **أُمُّكَ** » قال ثم من ؟ قال : « **أُمُّكَ** » . قال ثم من ؟ قال : « **أَبُوكَ** »[1].

بل وتدبر معي هذا الحديث الرقيق الرقراق الذي رواه البيهقي ، وابن ماجة وحسنه

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري رقم (٥٩٧١) في الأدب ، ومسلم رقم (٢٥٤٨) في البر والصلة .

شيخنا الألباني في السلسلة الصحيحة من حديث معاوية بن جاهمة ، أن جاهمة رضي الله عنه عندما جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله أردت أن أغزو - أي في سبيل الله - وقد جئت أستشيرك ، فقال : « هَلْ لَكَ أُمٌّ ؟ » قال : نعم . قال : « فَالْزَمْهَا ، فَإِنَّ الجَنَّةَ عِنْدَ رِجْلِهَا »[1]

وقد يتحسر الآن آباؤنا وأحبابنا ممن حرموا

---

(١) رواه النسائي (٦/ ١١) في الجهاد ، وابن ماجة (٢٧٨١) في الجهاد ، ورواه أيضًا أحمد في المسند (٣/ ٤٢٩) ورجاله ثقات وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة .

من نعمة الوالدين ، لذا أسوق إليهم حديثًا ربما وجدوا فيه العزاء : وللأمانة العلمية التي عاهدنا الله عليها ففي سنده على بن عبيد الساعدي ، لم يوثقه إلا ابن حبان وبقية رجال السند ثقات عن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي ﷺ قال : بينا نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بنى سلمة فقال : يا رسول الله ! هل بقى عليَّ من برِّ أبوي شيء أبرهما بعد موتهما . فقال : « **نَعَمْ الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا** » أي : الدعاء لهما ، والترحم عليهما ،

والاستغفار لهما - **وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا ، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا** »[1].

فيجب علينا أن ندعو لآبائنا ونستغفر لهما ونحج عنهما ونتضرع لله بالدعـاء لهما فنقول : ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا ، فلقد كان السلف رضوان الله عليهم إذا ماتت أم أحدهما

(١) رواه أبو داود (٥١٤٢) في الأدب ، وابن ماجة رقم (٣٦٦٤) في الأدب ، وابن حبان (٢٠٣٠) وضعفه الأرناؤوط في تخريج جامع الأصول والألباني في ضعيف سنن أبي داود .

بكى وقال : ولم لا وقد أغلق اليوم عليَّ باب من أبواب الجنة .

رابعًا : حقوق تقابلها واجبات

كما أن للوالدين حقوقًا على الأبناء فإن للأبناء حقوقًا على الآباء ، فكم من آباء ، وكم من أمهات قد ضيعوا الأبناء ؟!

إن التربية منذ أول اللحظات مسئولية كاملة للوالدين ، بل وقبل أن يأتي الولد للحياة ، فالوالد مسئول عن هذا الابن الذي

لم يأتِ بعد ، كيف ذلك ؟! أن يحسن اختيار أمه التي يجب أن تربيه بعد ذلك على الصلاح والفضائل .

أحبتي في الله :

أسألكم بالله أن تتدبروا معي هذه الكلمات التي سأطرحها على حضراتكم ، ماذا تقولون لو قلت لحضراتكم الآن : بأن أبًا قد عاد اليوم إلى بيته ، فأخرج ورقة ، وكتب عليها استقالة لزوجته من تربية أبنائه ؟!! حتمًا سيتهم هذا الوالد بالجنون .

أقول : وماذا تقولون لو أن أمًّا قد عادت اليوم من عملها إلى بيتها فسحبت ورقة ، وكتبت عليها استقالة لزوجها من تربية الأبناء ؟!! حتمًا ستتهم هذه المرأة بالجنون بل ، وقد يفكر هذا الوالد المسكين في طلاقها .

فماذا تقولون لو قلت لحضراتكم بأن نظرة صادقة إلى الواقع الذي نحياه تقول بأن استقالة جماعية قد حدثت في بيوت المسلمين ؟ نعم لقد استقال كثير من الآباء تربويًّا ، واستقالت كثير من الأمهات تربويًّا ، والوالد المسكين

يظن أن دوره يتمثل في أن يكون وزيرًا للمالية ، طوال النهار في التجارات والسفريات والأعمال أو على المقاهي والمنتديات ، فإذا ما حَلَّ الليل رجع لينام أو ليسهر أمام التلفاز ، ما فَكَّر مرة أن يخلو بأولاده يطمئن على أحوالهم .

أنا لا أقول فَرِّغ كل وقتك لولدك لأنني أعلم ظروف الحياة وأعلم الحالة الاقتصادية الطاحنة التي ترهق ظهور الآباء .

لكن أقول : والله إن جلوس الأب بين أبنائه وهو صامت لا يتكلم فيه من عمق

التربية ما فيه ، فما بالكم إذا تكلم فَذَكَّر بجنةٍ ، وحَذَّرَ من نارٍ، وحل مشكلة ، ووجه نصيحة ، وأشعر أولاده أنه يشعر بهم وبأحاسيسهم وسأل عن صديق الولد ، وسأل عن صاحبة البنت ، بكل حنان ورحمة وأُبوَّة حانية .

أيها الوالد الكريم : إذا ربيت ولدك على الفضائل ، والأخلاق الكريمة والصلاح منذ نعومة أظفاره ، شب حتمًا على هذه الفضائل والأخلاق ، نعم قد يقول لي والد : إنني أربى ولدي في البيت وسيخرج إلى الشارع ليعود ،

وقد طُمِس بناؤه الجميل الذي اجتهدت في تزيينه وتجميله ، سأقول لك : أبشر واطمئن فما دام الأصل سليمًا ، وما دام الجوهر نقيًّا فسرعان ما يزول هذا الغبش الذي تأثر به ظاهره ، وسرعان ما يعود إلى أخلاقه وجوهره النقي ، الذي اجتهدت في إعداده في بيتك على كتاب الله و سنة رسول الله ﷺ .

أيها الوالد الكريم : ابنك أمانة ، اجتهد لا تضيع ولدك فسوف تسأل عنه قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا

وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾

[التحريم : ٦]

وفى الصحيحين من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال : « كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، قال : وحسبت أَنْ قَدْ قال :

وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ))[1].

وتبلغ المأساه ذروتها إذا انضم إلى استقالة الآباء استقالة الأمهات ، فالأم هي الحضن التربوي الطاهر ، الأم هي المدرسة الأولى للتربية ، ماذا تقولون لو أغلقت المدرسة الأولى للتربية ؟! ألا وهي مدرسة الأم .

---

(١) **متفق عليه** : رواه البخاري رقم (٨٩٣) في الجمعة ، ومسلم رقم (١٨٢٩) في الإمارة .

لَيْسَ الْيَتِيمُ مَنْ انْتَهَى أَبَوَاهُ
وَخَلَّفَاهُ فِي هَمِّ الحَيَاةِ ذَلِيلًا
إِنَّ الْيَتِيمَ هُوَ الَّذِي تَرَى لَهُ
أُمًّا تَخَلَّتْ أَوْ أَبا مَشْغُولًا

ماذا تقولون لو علمتم كما ذكرت لحضراتكم أن من الآباء من يمنع ولده من الذهاب إلى المسجد ، أو يمنع ولده من الذهاب إلى مجالس العلم ، نعم أسأل الله أن يجعلني من المنصفين ، أنا لا أريد أن أقلل الآن - بعد ما أصلت للوالدين من حقوق - من شأنهما عند

أبنائنا وإخواننا ، وإنما أود أن أقول لإخواني وأبنائي : قد يأمرك الوالد بذلك من منطلق الخوف عليك ، وهذا هو الواقع ، فالولد قرة عين أبيه ، وثمرة فوائده ، فإن أمر الوالد ولده بذلك فليعلم أن المعصية أكبر ، وبأنه سيزداد خوفه بصورة أكبر إذا منع الولد من معرفة طريق المساجد ، وإذا حال بين الولد وطريق السنة ، وسوف يبكي الوالد دمًا بدل الدموع إذا رأى ولده يحقن نفسه بحقنة مخدرات أو يتعاطى المخدرات أو يمشي مع فتاة في الحرام

ولا حول ولا قوة إلا بالله ، لذا أذكر آبائي الكرام بأن يفتحوا الباب على مصراعيه لأبنائهم وليسلكوا طريق سنة النبي ﷺ

أيها الأحباب الكرام: إن للوالدين حقوقًا على الأبناء وإن للأبناء حقوقًا على الوالدين وهناك من الوالدين من يقع في عقوق ولده قبل أن يقع ولده في عقوقه .

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب ﷺ فقال : يا أمير المؤمنين أشكو إليك عقوق ولدي ، فقال : ائتني به ، فجاء الولد إلى عمر ﷺ ،

فقال عمر : لم تعق أباك ، فقال الولد : يا أمير المؤمنين ما هو حقي على والدي ؟ فقال عمر : حقك عليه أن يحسن اختيار أمك ، وأن يحسن اختيار اسمك ، وأن يعلمك القرآن . فقال الولد : والله ما فعل أبي شيئًا من ذلك ، فالتفت عمر إلى الوالد وقال : انطلق لقد عققت ولدك قبل أن يعقك .

أما بعد : أيها الأحباب الكرام

خامسًا : إنها مسئولية الجميع .

نعم يجب أن نعلم أن المسئولية تقع على كواهلنا جميعـًا ، فعلى البيت مسئولية ، وعلى مناهج التعليم مسئولية ، وعلى المدرسة مسئولية ، وعلى الإعلام مسئولية ، وعلى الشارع مسئولية ، فالمسئولية تقع على كواهل الجميع ، تبدأ من البيت ومن الأسرة ، ولكن قد يتألم الآن بعض الأحبة ويقول : إذا كان الوالد من الصالحين فاجتهد في تربية أبنائه تربية ترضي الرب سبحانه واجتهدت الأم

كذلك ، لكن خـرج من بين هؤلاء الأبناء ابن عاق انحرف عن الطريق .

نقول : إن هذا لا يقدح في أصل القاعدة فإنني أرى بيتًا من بيوت المسلمين يشرف على التربية فيه نبي كريم من أنبياء الله وهو نبي الله نوح عليه السلام ، ومع ذلك لا يخرج الولد من هذا البيت عاق فقط وإنما يخرج كافرًا والعياذ بالله ، وألمح بيتًا آخر يقوم على أمر التربية فيه فرعون مصر طاغوت الدنيا بأسرها ويشرف على تربية طفل ، هذا الطفل هو نبي الله موسى عليه السلام

(كليم الله) .

فابذل ما استطعت واجتهد ، واترك النتائج بعد ذلك إلى الله الذي يعلم كل شيء ، والذي يعلم الحكمة إنه عليم حكيم .

أيها الوالد الكريم ، أيتها الأم الفاضلة : تبدأ المسئولية في التربية للأبناء من البيت فهي المدرسة الأولى لكل نَشْأ وهي المكان التربوي الأكبر الذي يؤثر في شخصية وتكوين الأبناء ، فاجتهدوا واتقوا الله في التربية ولا تهنوا ولا تحزنوا فمن زرع حصد ، واعلموا يقينًا أن من

زرع خـيرًا سيجد خيرًا بإذن الله ، ومن زرع شرًّا فسوف يجنيه بعدل الله .

أولادكم أمانة في أعناقكم ، فهذه مسئولية ويالها من مسئولية !! عندها تتوارى كل المسئوليات ، فالأبوة بمعناها الحقيقي هي العطاء بلا حدود ، هي العطف ، هي الحنان ، هي الرحمة ، هي الشفقة ، هي البذل والتضحية بكل غالٍ وثمين ، هي النصيحة ، هي الاهتمام ، هي الشعور بمشاعر الأولاد ومعايشة أحزانهم وأفراحهم وحوائجهم ، فالأبوة في خصالها

السامية لم ولن تعادلها مسئولية قط ، ولم لا ؟! وأنت تبني جيلًا الآن يصبح صرح أمة التوحيد الشامخ غدًا ، يصبح صاحب الكلمة غدًا ، يصبح رافع راية لا إله إلا الله غدًا ، ما أسماها من مسئولية ! وما أرفعها من مكانة !!

فكن لولدك كما كان محمد ﷺ لأولاده .

وكوني أيتها الأم كما كانت أمهات المؤمنين .

والإعلام له دور خطير في توجيه النشيء ، فليتق الله كلُّ القائمين على الإعلام في فلذات أكبادنا فإن الإعلام سلاح مهم في تعليم أبنائنا

الأخلاق العالية ، والمثل السامية إذا أحسن استغلاله .. وسلاح مدمر للفرد والأسرة والمجتمع إذا أُسِيء استغلاله فإن الكثير من وسائل الإعلام المختلفة المسموعة والمرئية والمقروءة تعزف على وتر الجنس وعلى وتر أخلاق الغرب التي تصطدم بديننا الحنيف وتقاليدنا العريقة .

لذا أصبح الولد ينظر إلى أبيه المحافظ صاحب الأخلاق والفضائل ، نظرة احتقار ، نظرة ازدراء ، نظرة سخرية .

هكذا أُشرب في قلبه أن كل من يتمسك بالأخلاق الفاضلة فهو رجل رجعي .. فلا عيب أن تجد ولدًا يقول لأبيه : أنت رجل رجعي لا تعيش عصرك ، أنت لا تعيش زمانك ، إنكم مازلتم تعيشون في مجاهل القرون الماضية .

العزف بصورة واضحة على نغمة التحرر ، جعل الأبناء يتمردون على كل شيء ، على سلطة الأسرة ، على سلطة الوالدين ، بل وتمرد الأولاد أخيرًا على سلطة الدين ولا حول ولا

قوة إلا بالله .

فعلى القائمين على الإعلام أن يتقوا الله .

وعلى المدارس ومناهج التعليم وكل المسئولين عن دفة التعليم مسئولية كبيرة فهم يشكلون عقول أبناء الأمة .

ومن أجمل ما قال محمد إقبال - رحمه الله -: إن العلوم الحديثة تحسن أن تعلم أبناءنا المعاني والمعارف ، ولكنها لا تحسن أن تعلم عيونهم الدموع ، وقلوبَهم الخشوع .

وعلى الشارع أيضًا دور ، فلو خرج الأبناء

إلى الشوارع بأخلاق البيوت الطيبة لتغير الحال ، إذا المسئولية مشتركة وعلى الجميع ، لا أريد أن أطيل عليكم أكثر من ذلك . أسأل الله أن يقر أعيننا وإياكم بصلاح أبنائنا وستر بناتنا إنه ولى ذلك والقادر عليه .

أسأل الله - جَلَّ وَعَلَا - بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه وأن يرزقنا وإياكم العلم النافع وأن يفقهنا وإياكم في الدين وأن يحفظنا وإياكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن إنه على كل شئ قدير .

اللهم استرنا ولا تفضحنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وكن لنا ولا تكن علينا ، اللهم لا تدع لأحد منا في هذا المقام الكريم ذنبًا إِلَّا غفرته ولا مريضًا إِلَّا شفيته ولا دينًا إِلَّا قضيته ، ولا همًّا إِلَّا فَرَّجْته ، ولاميتًا إِلَّا رحمته ، ولا عاصيًا إِلَّا هديته ، ولا طائعًا إلا سددته ، ولا حاجة هي لك رضًا ولنا فيها صلاح إِلَّا قضيتها يا رب العالمين .

اللهم اجعل جمعنا هذا جمعًا مرحومًا ، وتفرقنًا من بعده تفرقًا معصومًا ولا تجعل فينا

ولا منا ولا معنا شقيا أو محرومًا .

اللهم اهدنا واهدِ بنا واجعلنا سببا لمن اهتدى .

اللهم إن أردت بالناس فتنة فاقبضنا إليك غير خزايا ولا مفتونين ولا مغيرين ولا مبدلين برحمتك يا أرحم الراحمين .

اللهم احمِ المسلمين الحفاة واكسو المسلمين العراة وأطعم المسلمين الجياع .

اللهم لا تحرم مصر من الأمن والأمان .

اللهم لا تحرم مصر من التوحيد والموحدين

برحمتك يا أرحم الراحمين .

أحبتي في الله ..

هذا وما كان من توفيق فمن الله ، وما كان من خطأ أو سهو أو زلل أو نسيان فمني ومن الشيطان ، والله ورسوله منه براء ، وأعوذ بالله أن أكون جسرا تعبرون عليه إلى الجنة ويُلقى به في جهنم ، ثم أعوذ بالله أن أذكركم به وأنساه .

وصلِّ اللهم وسلم وزد وبارك على محمد ﷺ .